منهج ما بعد الحداثة

اعداد

أ.د. زينب هادي حسن

المقدمة

كل شيء من حولنا في حالة تجدد وتغير، فلا مكان للجمود والسكون في عالم متزاحم ، واحداثه تسير في اسرع من البرق، وهذا التغيير شمل كل ما حولنا ، ومن البديهي ان يشمل الابداع الادبي وما يتصل به من علوم ، ومن بين تلك العلوم النقد الذي يكاد لصيقاً في هذا الحقل الابداعي. لقد مر النقد بمراحل التطور التي تمثلت بمناهجه ، وانتقلنا من المناهج الكلاسيكية مروراً بالمناهج الاخرى التي اتت بعدها مثل الشكلانية والبنيوية والتفكيكية والسيميائية .. الخ ، وصولاً الى نقد ما بعد الحداثة، هذا المنهج الذي جاء كردة فعل على المناهج السابقة من خلال الانتقادات الموجهة لتلك النظريات، وفي بحثنا هذا سوف نسلط الضوء على مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، وسوف نذكر خصائص كل منهما كما سنتعرف على رواد ما بعد الحداثة والايجابيات والمآخذ لهذا المنهج النقدي .

مفهوم الحداثة:

يطلق مصطلح الحداثة بوجه عام على مسيرة المجتمعات الغربية منذ عصر النهضة إلى اليوم، ويغطي مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والادبية. لقد ادخل التقدم التغيير والصيرورة الدائمة التي أدت إلى انهيار المعايير والقيم الثقافية التقليدية، وفي ظل هذه الصيرورة الاجتماعية بمختلف اتجاهاتها تحدد السياق العام لمفهوم الحداثة بوصفه ممارسة اجتماعية، ونمطاً من الحياة يقوم على أساسي التغيير والابتكار . (١)

وتعرف الحداثة بانها انقلاب ايديولوجي وفكري جوهري، حدث عندما اعتبر المجتمع نفسه مسؤولاً عن مصيره. وبمعنى آخر هي (فن) التحديث، فن الابتعاد الصارم عن المجتمع، انها فن اللا فن ، ذلك الفن الذي يحطم القوالب الجاهزة، ويميل إلى بناء عوالم خاصة على وفق رغبات الناس الفوضوية التي لا يحدها حد . (٢)

فالحداثة تتميز بانماط وجود وحياة وعقائد مختلفة كلياً عن هذه التي كانت سائدة في المراحل التقليدية، حيث عُرفت التغيرات التي شهدتها الحداثة بطابع الشارع والتنوع والشمول ولا سيما في مجال التكنلوجيا والمعرفة العلمية التكنلوجية . (٣)

---

(١) فضاءات النقد الثقافي من النص الى الخطاب. د. سمير خليل: ص ١٠٠ .

(٢) قراءات في الخطاب النقدي الحديث . م.د. زينب هادي حسن . مجلة قبس العربية. العدد الأول.٢٠٠٥: ص ١٤٢ .

(٣) التربية العربية ومأزق الثنائية المتوهمة. سمير احمد جرار: ص ٥٧-٦٣ .

والحداثة لا تؤمن بالقداسة، وإنما تؤمن بالابداع، وهي تعكس قلقاً لدى المبدع يعرف بقلق النموذجية، قلق الصراع مع السلطة، سلطة الانموذج المتشكل تاريخياً في الماضي، والنموذج المنتصب إلى امام، فهي اذن جاءت لتحطم وتهاجم المعتقدات الراسخة كلها لتبني منهجاً جديداً ورؤية حضارية في مواجهة الاشياء، انها تؤثر على الذات المبدعة من خلال دراسة النفس الانسانية من الداخل، وعلى وفق ذلك تكون الحداثة حركة تبحث عن الخلق والابتكار، وتتحدى خروجاً من الأرث الحضاري، ونبذ الارتكاز على معطيات التراث، فهي ثورة على النمط السائد ودعوة الى الخلق عن طريق اللغة . (١)

ويرتكز المفكرون عادة في تعريف الحداثة إلى فكرتين اساسيتين هما :

فكرة الثورة ضد التقليد، وفكرة مركزية العقل . (٢)

ويعرف جابر عصفور الحداثة بانها ((البحث المستمر للتعرف على اسرار الكون من خلال التعمق في اكتشاف الطبيعة والسيطرة عليها وتطوير المعرفة بها))، فالحداثة تعني الصياغة المتجددة للمباديء والانظمة التي تنتقل بعلاقات المجتمع من مستوى الاستغلال إلى الحرية،عية على ومن التبعية إلى الاستقلال، ومن الاستهلاك إلى الانتاج، زمن الدولة المستقلة إلى الدولة الديمقراطية . (٣)

---

(١) قراءات في الخطاب النقدي الحديث . م.د. زينب هادي حسن . مجلة قبس العربية. العدد الأول.٢٠٠٥: ص ١٤٢ .

(٢) فضاءات النقد الثقافي من النص الى الخطاب. د. سمير خليل: ص ١٠٢ .

(٣) التربية العربية ومأزق الثنائية المتوهمة. سمير احمد جرار: ص ٨٦-٩٠ .

خصائص الحداثة :

تستند الحداثة على الخصائص الآتية :

١- مرحلة تبلغها المجتمعات الإنسانية من خلال عملية التراكم التاريخي، والخروج من دائرة الوصايا التاريخية التي فرضت على العقل الإنساني في عصور الظلام .

٢- الحرية الإنسانية وتأكيد دور الإنسان الحر في مختلف ميادين المجتمع وقضاياه انطلاقا من حقوق الإنسان وتعزيزا للقيم الديمقراطية.

٣- ـ العقلانية حيث يتجلى العقل بسيادته وهيمنته في مختلف جوانب الوجود الاجتماعي والسياسي تجليا لمبادئ التنوير وقيمه. (١)

مفهوم ما بعد الحداثة :

من المصطلحات الأكثر التباساً وإثارة في فترة ما بعد الحداثة هو مصطلح " ما بعد الحداثة " نفسه، إذ اختلف حوله نقاد ودارسو ما بعد الحداثة، نظراً لتعدد مفاهيمه ومدلولاته من ناقد إلى آخر. وقد تبين ان افكار ما بعد الحداثة مختلفة عن مفاهيم الحداثة السابقة، فهناك من الباحثين والدارسين من يربط ما بعد الحداثة بفلسفة التفكيك والتقويض، وتحطيم المقولات المركزية الكبرى التي هيمنت على الثقافة الغربية من افلاطون إلى يومنا هذا. وبالنسبة للكثيرين تعد ما بعد الحداثة عدمية على نحو خطير، فهي تقوض أي معنى للنظام والسيطرة المركزية للتجربة. فلا العالم ولا الذات لهما وحدة متماسكة . (٢)

---

(١) الاسلام، الغرب وحوار المستقبل. د. محمد محفوظ: ص ٣٣ .

(٢) النظرية الادبية . ديفيد كارتر. ترجمة د. باسل المسالمة : ص ١٣٠ .

ومن ثم فقد اعتمدت فلسفة ما بعد الحداثة على التفكيك والتقويض والعدمية ، كما اعتمدت عتلى اللا نظام واللا انسجام، واعادة النظر في كثير من المسلمات المركزية التي تعارف عليها الفكر الغربي قديماً وحديثاً، ومن ثم تزعزع تزعزع ما بعد الحداثة جميع المفاهيم التقليدية المتعلقة باللغة . (١)

ويمكن الحديث في اطار ما بعد الحداثة عن اربعة منظورات تجاهها، المنظور الفلسفي الذي يرى ان ما بعد الحداثة دليل على الفراغ بغياب الحداثة نفسها، والمنظور التاريخي الذي يرى ان ما بعد الحداثة حركة ابتعاد عن الحداثة، او رفضاً لبعض جوانبها، والمنظور السياسي الذي يرى ان ما بعد الحداثة تعرية للاوهام الايدلوجية الغربية، واتلمنظور الاستراتيجي النصوصي الذي يرى ان مقاربة نصوص ما بعد الحداثة لا تتغير بالمعايير المنهجية، وليست ثمة قراءة واحدة بل قراءات منفتحة متعددة . (٢)

---

(١) النظرية الادبية . ديفيد كارتر. ترجمة د. باسل المسالمة : ص ١٣١ .

(٢) دليل الناقد الادبي. د. سعيد البازعي وميجان الروبلي: ص ١٤٣ .

مرتكزات ما بعد الحداثة:

تستند ما بعد الحداثة في الثقافة الغربية الى مجموعة من المكونات والمرتكزات الفكرية والذهنية والجمالية والادبية والنقدية ويمكن حصرها في الميادين الآتية :

١- التشكيك : اهم ما تميز به ما بعد الحداثة هو التشكيك في المعارف اليقينية ، وانتقاد المؤسسات الثقافية المالكة للخطاب والمعرفة والسلطة. ومن ثم اصبح التشكيك آلية للطعن في الفلسفة الغربية المبنية على العقل والحضور.

٢- التقويض: تهدف نظرية ما بعد الحداثة الى تقويض الفكر الغربي، وذلك عن طريق التفكيك والتشتيت، بمعنى ان ما بعد الحداثة قد تسلحت بمعاول الهدم لتعرية الخطابات الرسمية، وفضح الايديولوجيات السائدة المتآكلة ، وذلك عن طريق لغة الاختلاف والتضاد والتناقض .

٣- الغرابة والغموض : تميز ما بعد الحداثة بالغرابة وغموض الآراء والافكار والمواقف، فتفكيكية دريدا لا تزال غامضة ومبهمة من الصعب فهمها واستيعابها، حتى ان مصطلح التفكيك اثار كثيراً من النقاش والتأويلات في حقول ثقافية متنوعة .

٤- الانفتاح : لقد امنت ما بعد الحداثة بالانفتاح واتخذته وسيلة للتفاعل والتفاهم والتسامح والنقاش، وان الاهتمام بالسياق الخارجي يعد دليلاً على هذا الانفتاح الايجابي التعددي.

٥- التناص : ويعني استلهام نصوص الاخرين بطريقة واعية. بمعنى ان أي نص يتفاعل ويتداخل نصيا مع النصوص الاخرى تقليدا وحوارا، ويدل التناص على التعددية والتنوع وترسبات الذاكرة، والمعرفة الخلقية .

٦- اعادة الاعتبار للسياق والنص الموازي: إذا كانت البنيوية والسيميائيات قد أقصت من حسابها السياق الخارجي والمرجعي، وقتلت الإنسان والتاريخ والمجتمع، فإن فلسفات مابعد الحداثة، قد أعادت الاعتبار للمؤلف والقارىء والإحالة والمرجع التاريخي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي. (١)

---

(١) فضاءات النقد الثقافي من النص الى الخطاب. د. سمير خليل: ص(١٠٢-١٠٤)و دليل الناقد الادبي. د. سعيد البازعي وميجان الرويلي: ص(١٤٣- ١٤٥) .

رواد نظرية ما بعد الحداثة :

من المعلوم ان لما بعد الحداثة روادا او منظرين وفلاسفة ونقاداً، ومن بينهم الفيلسوف الفرنسي (**جان بودريار**) الذي عرف بنقده للتكنلوجيا الحديثة، وقد ادلى مجموعة من المفاهيم كالحقيقة العائمة ، ومنا فوق الحقيقة، والاهتمام بالخيال العلمي، كما انتقد العلاقة بين الدال والمدلول عند دي سوسير، وانكر وجود معنى واضح بل قال بالمعنى المغيب، ورفض التمييز بين المظاهر والحقائق الكامنة وراء هذه الامظاهر، وانهارت باتلنسبة اليه الفوارق بين الدال والمدلول، ولم تعد العلامات تسير اتلى معنى معقول حيث يتكون العالم الحقيقي من الدلالات العائمة .

ويعد (**ميشيل فولكو**)من رواد ما بعد الحداثة، فقد اهتم كثيراً بمفهوم الخطاب والسلطة، إذ كان يرى ان الخطابات ترتبط بقوة المؤسسات والمعارف العلمية تشكل خطاباً يتضمن قواعد معينة يتعارف عليها المجتمع ، فتشكل قوته وسلطته الحقيقية، ويرى فوكو ان ثمة علاقة بين المعرفة والقوة، وقد رفض فوكو التقيد بالمناهج الجاهزة، واستعمال بليات مكررة، فالنص منفتح ومتعدد، لا يمكن قراءته قراءة احادية فقط، فهو يؤمن بتعدد القراءات .

كما اهتم (**جيل دولوز**) بالتعددية والانفتاح على الآخر ادراكاً وتفاعلاً، إذ عد الفلسفة فلسفة التعددية، ومن ثمة فقد النتقد الهوية وفلسفة الواحد والتطابق. وبعد ذلك تحدث عن الحقل الاجتماعي ، وبمن بالتعددية والاختلاف بعد ان تأثر في ذلك باطروحات برغسون الحدسية حول الديمومة والزمان والمحايثة والتعددية . (١)

---

(١) النظرية الادبية . ديفيد كارتر. ترجمة د. باسل المسالمة : ص(١٣٢-١٣٤)و دليل الناقد الادبي. د. سعيد البازعي وميجان الروبلي: ص(١٣٨-١٤٠) .

ايجابيات ما بعد الحداثة :

١- انها حركة تحررية تهدف الى تحرر الانسان من عالم الاوهام والاساطير، وتخليصه من هيمنة الميثولوجيا البيضاء.
٢- بناء قيم جديدة من خلال العمل على تقويض المقولات المركزية للفكر الغربي، واعادة النظر في يقيناتها الثابتة، وذلك عن طريق التقويض والتشتيت والهدم .
٣- اهتمامها بالهامش والثقافة الشعبية حيث حاربت ثقافة النخبة والمركز، ثم انتقدت الخطابات الاستشراقية ذات الطابع الاستعماري بالنقد والتفكيك .
٤- آمنت بالتعددية والاختلاف وتعدد الهويات، واعادة الاعتبار للسياق والاحالة والمؤلف والمتلقي .
٥- عملت على الغاء التميزات الهرمية والطبقية، واحتفت بالمفارقة والغرابة والسخرية والقبح، وانزاحت من الاعراف والقوانين والقيم الموروثة .
٦- نددت بالمفاهيم القمعية القسرية وسلطة القوة . (١)

---

(١) التربية العربية ومأزق الثنائية المتوهمة. سمير احمد جرار: ص(٧٦- ٨٩) و النظرية الادبية . ديفيد كارتر. ترجمة د. باسل المسالمة : ص(١٣٢-١٣٨)

مآخذ ما بعد الحداثة :

١- اعتمادها على فكرة التقويض والفوضى والهدم، اذ من الصعب تطبيق تصورات ما بعد الحداثة واقعياً لغرابتها وشذوذها .

٢- تتميز بالطابع الفوضوي والعدمي والعبثي، وهي بذلك تقوض نفسها بنفسها .

٣- ان دفاع ما بعد الحداثة عن الهامش جعلها تتقمص خصائصه، اذ انقلب على اهميتها فاصبحت هامشية لا تغير من الواقع، وككل هامشي اصبحت ما بعد الحداثة تتمنى ان يتحقق الوئام فجأة، فتسود العدالة وتختفي الطبقية الهرمية، وتلغى الفوارق من غير تميز او غاية . (١)

---

(١) التربية العربية ومأزق الثنائية المتوهمة. سمير احمد جرار: ص(٨٤- ٨٩) و النظرية الادبية . ديفيد كارتر. ترجمة د. باسل المسالمة : ص(١٣٥-١٣٨).